

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يترأس بفاس اجتماعا خصص لتنمية الأقاليم الشمالية

ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بالقاعة الكبرى لعمالة فاس المدينة، اجتماعا هاما خصص للتنمية الإجتماعية والإقتصادية للأقاليم الشمالية للمملكة. ويتعلق الأمر بأقاليم طنجة وتطوان والعرائش والحسيمة وشفشاون والناضور ووجدة وتازة وتاونات وسيدي قاسم.

وبهذه المناسبة ألقى جلالة الملك الكلمة التالية :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة الممثلين لأقاليمنا الشمالية

أصحاب المعالي السفراء.

حضرات وزراءنا الأنجاد

عمالنا الأوفياء.

ضباطنا المخلصين

حضرات السادة

أبينا إلا أن نشرف بنفسنا على هذا التجمع الذي يمثل جميع الذين لهم مسؤولية إما ديمقراطية وتمثيلية أو إدارية أو سياسية ليرى الجميع مدى الاهتمام الذي نوليه للمنطقة الشمالية من المملكة المغربية.

وهذا الاهتمام كان دائما اهتمام جميع الملوك الذين تعاقبوا على عرش هذا البلد، ذلك أن المناطق الشمالية كانت بمثابة المنطلق، منطلق الجسر الحضري والمعماري والثقافي الذي منه كانت تنطلق العبقرية المغربية العريقة لتغزو الحضارة ولترجع بالحضارة ولتخلق بلدا وشعبا أصيلا في تفكيره وفي أخلاقه لا يقدم على عمل من الأعمال حتى يرى في سجل التاريخ هل هذا العمل الذي سيقوم به مطابق ومنسجم مع شرفه وأصالته واستقامته أم لا؟

اذن منطقتكم جغرافيا وتاريخيا كانت دائما محط أنظار الملوك المغاربة منذ المولى ادريس رضي الله عنه إلى أيام محمد الخامس طيب الله ثراه وخادم هذا الشعب وهذا البلد الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه.

وقد عشت في منطقتكم وأنا ولي للعهد، فعشت تحت الخيام مع زملائي وأصدقائي حينما قضيت أزيد من أسبوعين للمشاركة في بناء طريق الوحدة، ذلك المشروع الجبار الذي أراد به جلالة والدنا رحمه الله أن يربط الماضي بالحاضر وذلك على سواعد الشباب المغربي ذلك الشباب المؤهل لأن تنتقل إليه مسؤولية الآباء والأجداد.

ومنذ أن قلدنا الله سبحانه وتعالى أمورك شعبي العزيز ونحن ساهرون على هذه المنطقة أكثر ما يكون السهر، وقد بدانا عملنا في الريف سنة 1964، ولازلت أذكر أننا انطلقنا بعمل من جماعة

قروية إسمها إساكن في قلب كتامة لنقوم بتجربة جذرية لتحويل معيشة ووسائل عيش سكان المناطق الشمالية. ومنذ ذلك اليوم إلى الآن أعطيكم حضرات السادة بعض الأرقام إن كانت باهضة فهي لا تكفيني ولاتفي بما كنت أنتظر وان كانت أرقاما مهمة.

يكفي أن أقول لكم بأن سكان الريف تطوعوا بخدماتهم المجانية بما يقابل قدره **50** مليون يوم عمل من **1964** إلى يومنا هذا. فهل تقدرون ما هي **50** مليون يوم عمل مجانا، ففي الحقيقة بدأت الحالة تتحسن شيئا فشيئا وربينا سكاننا وأبناءنا في الريف على البحث عن معيشتهم ورزقهم في حقول متنوعة، فأدخلنا لهم أنواعا جديدة من الفلاحة وبالأخص أنواع أشجار الغلل وعلى رأسها زراعة اللوز كما أننا أدخلنا على معيشتهم اليومية تربية المواشي وادخلنا في نفوسهم محبة الأشجار وغرس الشجر. وهذه العملية لا تستجيب إلى الزهو بالنظر إلى الخضر أو الإخضرار بل تستجيب إلى ضرورة معيشة سكان الريف.

عليكم أن تعلموا حضرات السادة أن الريف إن لم نأخذ بيده من ناحية التشجير فسوف تضيع منه جميع ما تبقى من التربة الصالحة للفلاحة.

إن ما يضيع سنويا في البحر إلى الآن في هاته الناحية وبالأخص الناحية الغربية أو من الناحية الوسطى إلى الناحية الغربية يقدر ب **60** ألف هكتار من التربة الصالحة للغرس أو للفلاحة أو للماشية. ولهذا تعين علينا أن نأخذ ملف الريف بكيفية شمولية حتى ندفع به دفعة واحدة ستتطلب منا السنين والسنين وأكثر من هذا ستقتضي منا هذه العملية التجنيد الكامل المستمر غير المنقطع.

وكانت الأمور تسير بخير إلى أن وصلنا إلى سنوات **1981 ــ 1984** والتي كانت سنوات عجاف، ومن جهة أخرى ومع الأسف لم تأت السياسة الدافعة بالسياحة فقط بإيجابياتها بل جاءت بسلبياتها أيضا. وهكذا إلتقى فيما بين **1981** و **1984** عنصران ألا وهما الجفاف وإقبال السواح على المنطقة أولئك الذين جاؤوا من أوروبا لا أوروبا التي كنا نعرف بل أوروبا التي عرفت تحولات وتطورات بل ثورات في الأحقاب الماضية وأصبح الأوروبيون المتوافدون على الديار المغربية في شمال المغرب يطلبون يوما بعد يوم اقتناء المزيد مما يسمى بالقنابي أو الكيف. ففي الأول كانت هناك تقريبا ما بين **4000** و **5000** هكتار معروفة ومحدودة ولا يتضرر منها أحد، لأن المغربي تقليديا إذا كان يتعاطى للكيف فهو سيتعاطى له حينما يقص ويحصد ولا يطوره تطويرا زائدا.

وحينما وقع الاتصال بين المستهلكين المرفهين المتقدمين في الاستهلاك وكيفية الاستهلاك وبين المنتجين، وتصادف هذا مع سنوات الجفاف، اتسعت الرقعة من **5000** هكتار، إلى ما يقرب من **50** ألف هكتار أي تضاعفت المساحة بنسبة العشر.

وأصبحنا ننعت باليد كخطر على أوروبا وبالتالي كخطر على أنفسنا.

ولكن هذا الأمر شخصيا لم أرد أن أعطيه اكثر مما يلزم لأنه عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم. وهذه الحالة المزرية لسنا وحدنا ننفرد بها.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « لعن الله الراشي والمرتشي» فاللعنة النبوية تبدأ على الراشي وتلحق بعد ذلك المرتشي ولذا أقول لعنة الله على المستهلك والمنتج فأنا ألعن المستهلك قبل المنتج لأنه لو لم يكن المستهلك لما كان المنتج.

طيب لنأخذ هذا كعبرة ولننطلق من هذه الحالة لا لعلاج ناحية كتامة وحدها أو بإحراق جميع



المساحات التي فيها هذا النوع من الفلاحـة، لا لنقم بعمل شمولي لأن الريف هو أولا خمسة ملايين من السكان أي خمس سكان المغرب.

وحينما نقول الريف، فهناك بطبيعة الحال الريف من جهة وجبالة من جهة أخرى، ونحن نقول الريف أو المناطق الشمالية ولم نرد أن نبقى محصورين عند الحدود التاريخية التقليدية التي كانت تفرق بينها الحماية الفرنسية أو الحماية الإسبانية لقد أصبح مدلول الشمال عندنا يجمع بين تسعة أقاليم. ونبتدىء من الجنوب فهناك أقاليم شفشاون ثم طنجة ثم تطوان ثم تاونات ثم تازة ثم الحسيمة ثم وجدة ثم الناضور والعرائش، إذن نرى أن في الريف خمسة ملايين من السكان وتسعة أقاليم وقررنا أن نوجه أنظارنا وسواعدنا إليه.

ولقائل أن يقول لماذا تأخرنا عن هذا الإتجاه لقد تأخرنا عن هذا الإتجاه لأننا كنا مشغولين بالجنوب، ولا يمكن لأي أحد أن يشتغل جنوبا وشمالا وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالى علينا حيث حبانا بحقول تستأثر بتجنيد واهتمام وتضحية الأجيال المغربية حتى لا تعرف الراحة ولا الكسل، فتبني في الجنوب ثم تنتقل إلى الشمال ثم تعود إلى الوسط وهكذا مادامت هذه السماوات والأرض تظلان البشرية.

لقد كنا مشغولين في الجنوب، ولكن الآن ولله الحمد، وقد وقعت الاستثمارات الأساسية وأكثر من الأساسية بل التكميلية في مناطقنا الصحراوية والجنوبية مما مكننا من أن نعطي الأسبقية لناحية الريف وهذه الأسبقية تتضمن عدة برامج يصعب علي أن أعطيكم الأرقام المتعلقة بكل وزارة وزارة، ولكن لتعلموا حضرات السادة أن الغلاف المالي المغربي فقط هو 20 مليار درهم من وسائلنا الخاصة، وسيصرف هذا المبلغ المرصود في ظرف خمس سنوات وهذا هو الحد الأدنى، لأننا ننتظر من جميع الدول وبالأخص من دول المجموعة الإقتصادية الأوروبية التي كاتبناها في هذا الشأن أن تعيننا على الاستئصال النهائي اللارجعي لما هو شائن في فلاحة الريف.

وقد وعدتنا تلك المجموعة بأنها ستلبي دعوتنا وستنظر إلى جهودنا في هذا المضمار، ولا سيما أننا كاتبناها رسميا حينما كانت انجلترا هي رئيسة الدورة حيث كاتبنا رئيسها السيد جون ميجر الوزير الأول للمملكة المتحدة.

فإذا نحن عرفنا كيف نسير أمورنا، سنجعل هذه المنطقة المغربية تتغير في ظرف خمس سنوات ففي البداية سيتغير وجه الريف لأنه ستنطلق فيه مشاريع وبرامج هائلة جدا أعدتها وزارات الداخلية والأشغال العمومية والفلاحة والطاقة والبريد.

وأنتم تعلمون ماهي الأنشطة التي تتفرع عن هذه الوزارات، وبدون أن ندخل في التفاصيل نرى في الريف مثلا، ولما نقول الريف نقصد شمال المغرب أن هناك تباين بين مختلف نواحي هذه المنطقة، ففي الناحية الغربيةالتي تمتد من العرائش إلى طنجة تنزل فيها أمطار هائلة جدا إلى حد أنها تصل إلى الميتر أي 1000 ملمتر وبها أراضي صالحة للفلاحة وممتازة ولكن خلال أشهر يونيه ويوليوز وغشت وسبتمبر ينقطع الماء وتحصل هناك أزمة في الماء الصالح للشرب.

بينما حينما نأخذ شرق الريف أي الشرق الشمالي والأفقي للريف، نرى أن هناك أراضي ممتازة شاسعة صالحة للفلاحة، ولكن تنقصها المياه. فإذن الأشغال العمومية ستجلب الماء الصالح للشرب لأكثر ما يمكن من المدن والقرى في الريف إن شاء الله وفي أقرب وقت.

ثانيا ستبنى خمسة سدود متوسطة تتراوح حمولتها بين 60 مليون و 100 مليون متر مكعب وهذا شيء مهم جدا.

ثالثا : ستعطى الأسبقية للسدود التلية، إذ أننا سنشرع في إقامة 200 سد ستنجزها الجماعات القروية بنفسها.

وأخيرا الريف معزول من ناحية الطرق. فهناك الطريق الأفقية الشمالية التي تؤدي من طنجة إلى الناضور الطريق المحادية للبحر وهي الطريق السيار التي ستربط بين الرباط وطنجة والطريق الممتدة من الناضور لوجدة وهناك طريق الوحدة فقط.

وما لم يتم شق طرق متعددة بالريف سيبقى دمه محصورا ولا يدور، لأن الطرق تعد بمثابة العروق والشرايين. فأينما كانت هناك طريق إلا وأصبحت مصبا للدم المنعش وللحركة المنعشة وللنشاط ذي الطائل.

أما من ناحية الفلاحة فلدي أرقام - أقرأها عليكم، فإذا كانت الطرق تعاد كل سبع أو عشر سنوات فإن الأمر يختلف بالنسبة للفلاحة حيث لا ينبغي أن تعاد لأن ذلك يعد دليلا على أننا لم ننجح في العملية هاته.

وبالنسبة للري، فإننا سنهيء 30 ألف هكتار جديدة للري، وسنعيد تجديد 65 ألف هكتار مروية، إذن ستتوفر لنا في الريف 95 ألف هكتار مسقية بالطرق العصرية المعروفة.

أما فيما يخص الغابات والمراعي، فهدفنا هو توفير 300 ألف هكتار. وفيما يخص الأحواض المائية هناك 125 ألف هكتار، لأنها هي التي ستقي التربة الصالحة للزراعة من أن تذهب سدى كل سنة إلى البحر.

وفي ما يخص أشجار الفواكه وهي مهمة جدا سنحرث 200 ألف هكتار، وهو رقم من الأهمية بمكان وهكذا ستكون المساحة الإجمالية للأراضي الفلاحية المستصلحة وتلك المخصصة لتربية المواشي والمحافظة على التربة 790 ألف هكتار، وهو ما يناهز المليون هكتار. وكنت أقول لكم دائما إن المغرب ينبغي أن يتوفر على مليون هكتار. مروي وأن البرنامج الخاص بالريف وحده يقارب مساحة المليون هكتار التي نطمح إلى توفيرها بالنسبة للمغرب كله.

بالطبع إذا كان قطاع الطرق والنقل مرتبط دائما بالفلاحة والتجارة، فإن نموه ينبغي أن يكون مدعما بكل من الطاقة من جهة، ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية من جهة اخرى.

ومن تم سنخلق بوسائل عصرية لن تعرف العطب إن شاء الله 200 ألف خط جديد للهاتف والمراسلات.

كما أننا نظرنا مع وزيرنا في الطاقة والمعادن أن تتعاطى الوزارة لنشاطين يكمنان في إدخال الطاقة بجميع أنواعها الصغرى المتوسطة والكبرى، وكذا التنقيب عن المعادن المتوفرة بمنطقة الريف واستثمارها، وذلك نظرا لكونها متنوعة ومطلوبة في السوق، وهي حقيقة موجودة من شرق الريف إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه.

فهذه هي حضرات السادة الخطوط العريضة لبرنامجنا. وكما قلت لكمْ ليس في الإمكان أن تبقى ذاكرتي محتفظة بجميع الأرقام. ولكن كونوا على يقين أنه لو لم يكن هذا البرنامج حقيقة يشفي الغليل وفي مستوى طموحي ومحبتي لكم لما كنت هنا لأطرحه عليكم.



وأظن أن هـذا البرنـامـج سيتطلب النفس الطـويل إذ سـوف نتـوقـف بعـد خمس سنـوات بل ستتعـداها . ولي اليقين أنكم ستنـدهشون أنتم أنفسكم خـلال السنتين أو الثلاث سنـوات الأولى من التغيير الذي ستعرفه المنطقة التي تقطنون بها . بـالطبع من المشروع أن نتساءل كيف سينجز هذا كله؟ فهل سينجز على الطـريقة الـروتينية المعتادة؟ أم سيـوضع له جهاز خـاص به؟ أظن أنـه يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبـار أمرين أساسيين يتعلق أولهما بضرورة جعل الهيكل الـذي نفكر فيه ضابطـا لنفسه من نـاحية قـوانين الصرف والتصرف في المال . وثانيهما يجب أن يكـون ذا شفافيـة أي يتعين أن تكون مكاتب هـذه المصلحة من زجاج . لماذا؟ أولا لأن المجهـود الذي سيقوم بـه المغرب والمغاربـة في إطار التضامـن الوطني مجهود يجب بـل يحتم علي أن يتمكن كل مغربي مغـربي ساهم مبـاشرة أو بكيفية غير مبـاشرة من أن يـرى مـا يجري في تلك المصلحة وأن يـرى كـذلك الفـائدة وبأي كيفيـة حصلت تلك الفائدة .

إن الشفافيـة ضرورية لأن هذه الأمـوال سوف لن تكون أمـوالا مغربية فقط بل إننـا نعتمد على الـدول الأوروبية وغير الأوروبيـة بأن تساهم في هـذا المجهـود البشري والتنموي الجبـار . ونريـد بل نحرص كل الحرص على أن تتمكن المجمـوعة الدوليـة الأوروبية ، أو كل دولة على حـدة من أن ترى أين ذهبت أموالها وبأية كيفية صرفت .

إذن فالشفافية ضرورية لأبناء المغرب ومالهم وضروريـة للإعانات والأموال التي ستتدفق بكثرة إن شاء الله على مشروع مثل هذا .

وهناك أمثلة على ذلك في العـالم منها مثلا الهيكل الذي كـان في جنوب إيطاليا بـالنسبة لصقلية ، وكذا تجربـة سهل التنيسي المعروفـة بـ «تنيسيى فالى اوتـوريتي ـ «تي في اي» بأمـريكا وتجربـة صندوق الجنوب . إذن من اللازم أن نفكر في هذا الموضوع وسنضع هيكلا يضمن لنا السلامة والدقة في التسيير والسرعة في الإنجاز ، وكذا الشفافية حتى يتمكن كل واحـد مواطنا كان أو غير مواطنا من أن يرى في الحين كيف صرف ذلك المقدار الذي قدمه لإنعاش أقاليمنا في الشمال .

وبـالإضافـة إلى هذه العمليـات المتعلقة بـالتجهيزات أو الحرث أو شق الطـرق هناك عمليـات أخرى ضرورية تتعلق بالمناخ الذي يجب أن يسود هذا كله . وهذا المناخ لا يمكن أن يكون إلا إذا جئنا إلى أقاليمنا الشمالية بنفس جديد وبدم جديد ألا وهو الاستثمارات . الاستثمارات في الصناعات الخفيفة والثقيلـة . فكما قلت لكم فإن منطقة الـريف غنية جـدا بالمعـادن والأشجار الصـالحة للتحويل وكـذا الفواكـه والغلل . وكل هذا يمكن أن يكـون نواة لصناعـة إما معـدنية أو صناعـات تحويلية لـلإنتاج الفلاحي . وعليـه سننظر ــ إن شاء اللـه ـ في إعفـاء كل من ساهم في تصنيع الـريف من خلال إقـامة مصنع أو ممارسته لنشاط استثماري من الضرائب لمدة سنوات وذلك لتشجيع الاستثمارات بالمنطقة .

كما قررنـا ـ نظـرا لضيق المنطقة الحرة لا التجاريـة ولا الصناعيـة الموجودة في طنجـة ـ أن نخلق منطقة حرة تجاريـة وصناعية في الناضـور ، بحيث أنه لا يمكن لأي بلد ــ حضرات السادة ـ أن يتغير إيجابيـا بالإنجـاز المادي فقط ، إذا لم يكن ذلك التغيير المادي البنـائي الطرقـي والفلاحي والـلاسلكي والمرتبط بالطاقات مصحوبا بتجديد للمناخ التفكيري . فحتى من ناحية المصالح الوزارية .

وأنا هنـا أخاطب جميع الـوزارات ،وأعضـاء الحكومـات كلهم حاضرون فـالدم لم يتغير كثيرا بناحية الشمال . فهناك بعض الموظفين الذين ظلوا بهذه المصالح طيلة **14**أو **15**أو **18** عاما . وهذا لا يساير قانون الوظيفة العمومية ـ وأقولها للوزير الأول ـ ولا يساير إعطاء الفرص لكل موظف طموح

ومستقيم بأن يساهم هو بدوره في يوم من الأيام في الملاحم، ويشارك في المسيرات الجديدة. لأن أمامنا مسيرات ومسيرات لا يمكننا أن ننجح فيها إلا إذا اتصف عملنا واتسم بوحدة الصف ووحدة الكلمة والإيمان المشترك الذي لا يتـزعزع بعد اللـه ورسوله لأن المغـرب وهو المغـرب وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأخيرا ـ حضرات السـادة ـ كونوا رعـاكم الله رسلي إلى جميع إخوانكم الـذين ستلتحقون بهم بعد قليل، وقولوا لهم أنني أقرؤهم السـلام وإنني سأزور في الصيف إن شاء الله منطقة الريف لأقف شخصيا على بعض النتائج.

كما أنتهز هـذه الفرصـة لأتوجـه بالشكر إلى أصحـاب السعادة السفـراء الموجودين هنـا على ما أعربوا عنه باسم حكومات بلدانهم من استعداد لتفتح ملفنا وتنظر فيه بود وبعين إيجابية وبعين صداقة وتعامل.

كما أتوجه إلى جميع ممثلي المصالح الدولية الحاضريـن هنا لأحثهم ـ إن كان ذلك في الإمكان أكثر لأنهم يريـدون العمل معنا ـــ على أن يعملوا معنا يـدا في يد. فـالمشروع طموح ويـرمي إلى الترفيه مع احترام كرامة الإنسان والمحافظة عليها لكي لا تنزلق في المكروه. إذن فكل هذه الأهداف نبيلة.

إن حضوركم هنا يدل على أنكم ستقتسمون معنا المشـاعر. كما أنكم ستقتسمون معنا المشاريع. وأرجوكم أن تبلغـوا حكومـاتكم شكرنا المسبـق ومرة أخرى ـــ حضرات السادة وسكـان الريف الأعزاء ـ إلى اللقاء إن شاء الله.

وأرجو من الله أن يوفقكم وييسر بكم في الطريق السوي. وسنلتقي بعد أربع أو خمس سنوات مرة أخرى. «عند الصباح يحمد القوم السرى».

والسلام عليكم ورحمة الله.

8 شعبان 1413هـ موافق 10 فبراير 1993م